الخطاب الروائي في زمن الكورونا: قراءة في العتبات النصية ومرجعيات القول في رواية "ربيع الكورونا" لأحمد الهادي رشراش

The novelistic discourse in the time of Corona: a reading of the textual thresholds and references to the saying in the novel "The Corona Spring" by Ahmed Al-Hadi Rashrash

د. زهرة الثابت: دكتوراه في اللغة والحضارة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان، تونس

Dr. Zahra Al Thabet: PhD in Arabic Language and Civilization, Faculty of Letters and Human Sciences, Kairouan University, Tunisia

Email: thzohra@gmail.com

الملخص

مثلت كورونا جائحة كونية وإنسانية خلخلت العالم وبثت الرعب والهلع بين الآنام على وجه البسيطة حتى غدت الحدث الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، فلا حديث بين الناس إلا عن هذا الوباء ولا تفكير إلا في هذه الكارثة التي شلت حركة الحياة وفي الحلول الممكنة لدرء خطرها، لذلك كثرت الكتابات حولها فحيكت الأخبار وألفت القصص وكتبت الرواية أيضا وقد كانت رواية "ربيع الكورونا" للروائي الليبي أحمد رشراش النموذج الباهر على ذلك، بل الاستثناء في جنس الكتابة الروائية لأنها أول رواية كتبت في الغرض. وهدفت هذه الدراسة إلى الحفر في عتبات هذا الخطاب الروائي ومرجعياته لأن "ربيع الكورونا" بدت لنا كتابا مفتوحا ونصّا يحتمل القراءة والتأويل.

ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة مناهج عديدة منها المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج التفكيكي والمنهج التأويلي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن "ربيع الكورونا" كون روائي رامز بامتياز تظافرت مداخل نصية عديدة على إنتاج الدلالة التخييلية فيه بدءا من عتبة الغلاف الخارجي وصولا إلى متنه. وأن "ربيع الكورونا" إنما هو عمل روائي يمتح مادته من معين الواقع والتاريخ والشعر والمسرح والفلسفة، وهو على هذا النحو نص منفتح على مرجعيات في القول عديدة تعكس سعة اطلاع صاحبه.

الكلمات المفتاحية: رواية، ربيع الكورونا، عتبات، مرجعيات.

Absract

The COVID -19 has represeneted a global and human pandemic that dislocated the world and spread terror and panic among the peopleon the surface of the globe, until it became the event that filled the ears of the world and occuped people. There is no discussion among people except that epidemic, and no thinking except that disaster that paralysed life and the possible solutions to confront its danger. Therefore, there was a lot of writings about it, so news and stories were written, and the novel was written as well. The novel « Crona Spring » by the Lybian novelist Ahmed Rashrash was not only the briallant examle of the pandemic isolation, but also the exception in the genre of fictional writing, because it was the first novel written for this purpose. This study to delve into the tresholds of the narrative discourse and its references, because the « Corona Spring » seemed to us an open book and a text that accepts reading and interpretation, so i used the inductive analytical method and the hermeneutic method. This study reached a set of results, the most important of which are: the “Corona Spring” was the symbolic novelist with distinction, several textual entries combined to produce the imaginary sign in it, starting from the threshold to the outer cover and reaching its body. And the “Corana Spring” is a fictional work that extracts its material from the specifics of reality, history, poetry, theater and philosophy, and in this way it is a text that is open to many refrences in the saying that reflects the breadth of knowledge of its owner.

Keywords: Novel, Corona Spring, Tresholds, References**.**

الإطار المنهجي للبحث:

المقدمة:

لم يشهد العالم كارثة إنسانية هزت الكون بأسره مثلما هزته جائحة كورونا هذه الآفة التي دكت العالم دكا فأذهلت الإنسان وشلت حياته وأودته قتيلا فعمقت من آلامه وجروحه وأحزانه وانبرى يقاوم طوفانها المدمر بشتى الوسائل أملا في الحياة وطلبا للاستمرار ولعل أيسر هذه الطرق القلم. إذ سال الحبر الكثير حول هذه الجائحة الكونية فحبرت التقارير ونظمت الأشعار وصنفت في غرضها الكتب وحيكت من وحيها الأخبار والحكايات الشعبية والقصص ولكن كتابة الرواية عنها أمر يعدم وجوده لولا أن ظهرت رواية "ربيع الكورونا" للكاتب الليبي أحمد رشراش التي تعد من أعتى النماذج الروائية السردية في هذا الغرض. إذ هي استثناء وهي رواية الكورونا بامتياز ورواية الواقع والمنشود، صاغها صاحبها في أسلوب سلس لين مرن يبعث على التشويق، لأنها عكست واقع العربي زمن كورونا ولامسته من الداخل فأماطت اللثام عن عمق وجعه وكشفت عن سر معاناته.

ونروم من خلال هذه الورقة الحفر في ثنايا هذا الجنس الروائي والنبش في بعض مداخله يحدونا في ذلك هاجس إماطة اللثام عما غمض في هذا النص ولن يكون ذلك إلا بالولوج إلى عتبات هذا النص الروائي لفك شفرة الخطاب فيه إذ الرواية تلوح لقارئها فضاء إيحائيا وكتابا مفتوحا يحتمل القراءة والتأويل، لذلك وطنا النفس على محاولة قراءة الرموز الثاوية في هذه الرواية بدءا من الغلاف الخارجي وما يحمله من مناص عنوان الرواية وجنسها واسم كاتبها ودار النشر وانتهاء إلى الإهداء والعرفان والعناوين الفرعية الداخلية.

أضفنا إلى ذلك أننا نهفو أيضا إلى تقفي مرجعيات الخطاب في هذه الرواية إذ استقر لدينا أن الكاتب إنما أحكم حبكة روايته السردية وأحسن إخراجها معوّلا في ذلك على مصادر معرفية متنوعة تراوحت بين الواقع والتاريخ والتراث والشعر والأدب والإعلام والصحافة. فكيف أنشأ رشراش عالمه التخييلي في روايته ربيع الكورونا؟ وماهي المعاني التي اكتنزت عليها النصوص الموازية في هذه الرواية؟ وأي مرجعيات للقول استند عليها الكاتب في صياغة عالمه الروائي؟

مشكلة البحث:

تطرق هذه الدراسة قضيتي العتبات ومرجعيات القول في النص الروائي من خلال رواية "ربيع الكورونا" للروائي الليبي أحمد الهادي رشراش. وتثير الأشكال التالي:

- أي معنى اكتنزت عليه العتبات النصية في هذه الرواية؟
- ومن أي معين استلهم رشراش لغة عالمه الروائي وأفكاره؟

منهجية البحث:

استأنست هذه الدراسة بالمنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الوصفي كما أنها استفادت أيضا من المنهجين التفكيكي والتأويلي.

فرضية البحث:

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن "ربيع الكورونا" نص رامز بامتياز وأن العتبات النصية فيه ليست إلا شفرات تحتمل القراءة والتأويل وهو أيضا جماع نصوص تراوحت بين الواقع والتاريخ والتراث وغيرها استحضرها صاحبها ليشيد بها معالم البناء الفني لروايته.

أهداف البحث:

تطمح هذه الدراسة الحفر في عتبات رواية "ربيع الكورونا" بدءا من الغلاف الخارجي وصولا إلى متن النص وما يحويه من إهداء وشكر وعناوين فرعية استهلت بها فواتح الفصول. كما تعقبت هذه الدراسة أيضا النصوص التي استحضرها الراوي واستوحى منها مادة دراسته.

هيكل البحث:

توزعت هذه الدراسة على قسمين اثنين اهتممنا في عنصر أول منهما بالعتبات النصية في رواية "ربيع الكورونا"، أما العنصر الثاني فقد خصصناه للبحث في مرجعيات خطاب رشراش في هذا النص الروائي.

1- ربيع الكورونا: العتبات

في مفهوم العتبة:

هي ما يسمى بالنص الموازي أو النص المصاحب أو النص المحاذ أو المناص ويطلق عليه بالفرنسية مصطلح (Le paratexte) وهي عبارة مزدوجة تتكون من كلمة النص(texte) وكلمة (para) التي تدل في أصل معناها اليوناني واللاتيني على معاني المشابهة والمماثلة والمجانسة والمشاكلة والقرين والزوج وكلها معاني انعكست على المصطلح. ويعود الفضل في ابتكار هذا

المصطلح إلى الفرنسي جرار جنيت الذي ألف في الغرض كتابا أسماه ب"عتبات" (seuils)[1] عام 1987 والذي ذهب إلى اعتبار المناص **"بنية نصية متضمنة في النص"[2]**. ويعتبر النص الموازي عند جنيت (G.Genette) **"ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه وعلى الجمهور عموما أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات بصرية ولغوية"[3].**

والنص الموازي نوع من النظير النصي الذي يمثل التعالي النصي بالمعنى العام[4]. وعليه إذن فالعتبات جملة المداخل والعلامات البصرية واللغوية التي يفرض الكاتب على جمهوره القارئ في عملية تلقي أثره ويمكن أن نميز بين نوعين من المناص المناص النشري / الافتاحي والمناص التأليفي.

في عتبات النص الروائي"ربيع الكورونا"

- **المناص النشري (Editorial para texte):** وهو يتعلق بكل يضعه الناشر إسهاما منه في صناعة الكتاب وطباعته ونقصد به عتبة الغلاف الخارجي بما يحمله من إخراج لعنوان الأثر واسم الكاتب ودار النشر.

-عتبة الغلاف الخارجي:

يعتبر الغلاف الخارجي لرواية "ربيع الكورونا" لرشراش من أول العتبات النصية التي تصافح القارئ بل هو من أهمها لأن **"الغلاف أول ما نقف عنده وهو الشيء الذي يلفت انتباهنا بمجرد حملنا ورؤيتنا للرواية لأنه العتبة الأولى من عتبات النص الهامة وتدخلنا إشاراته إلى اكتشاف علاقة النص بغيره من النصوص المصاحبة له: صورة، ألوان.."[5]**. ويبدو هذا الغلاف من أهم عناصر النص الموازي التي تساعد على فهم الرواية لأنه المكان الذي **"تتحرك فيه عين القارئ إنه**

[1] -انظر: Gerard Genette, Seuils, ed.seuil, col poétique, Paris, 1987.

[2] - Voir, ibid,p.7.

[3] - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2001، ص188.

[4] - انظر جيرار جنيت، مدخل إلى جامع النص ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال، المغرب، الطبعة الثانية، 1986، ص91.

[5] - حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.، ص148.

يشكل ببساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"[1]. وأهم ما تتوقف عليه عين القارئ صورة تصدرها اسم الروائي وتوسطها عنوان الأثر وجنسه.

- **في العنوان:**

يعدّ العنوان من أهم المباحث التي أولتها السيميوطيقا اهتماما كبيرا إذ هومن أبرز المناص للولوج إلى عالم النص الروائي، إنه **" العنصر الموسوم سيميولوجيا في النص، بل ربما كان أشد العناصر وسما"**[2] إذ هو **"مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص ويقيس به تجاعيده ويستكشف ترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي والرمزي"**[3]، فهو على هذا النحو أشبه بالبهو الذي ندلف من خلاله إلى حجرة النص وبدونه لا يمكن التطلع إلى أسرار النسيج النصي.

أول ما يطالع القارئ في رواية رشراش العنوان " **الذي يبرز متميزا بشكله وحجمه فهو أول لقاء بالقارئ والنص.. حيث صار هو آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ"**[4]، وهو يلوح لنا علامة لسانية مميزة ذلك أن الكاتب وسم روايته ب "ربيع الكورونا" وقد جاء العنوان مغريا لافتا للانتباه إذ ورد مركبا إضافيا يبعث على التشويق لأنه جمع بين أمرين متنافرين على مستوى الدلالة هما "ربيع" والكورونا" فإذا كان الربيع دالا على البهاء والجمال فإن الكورونا ترمز إلى القتامة والبؤس. واللافت للانتباه أن هذا العنوان جاء مختزلا حتى تتسع دلالته طي الرواية. فهو على هذا النحو اقتصاد لمعني الرواية، وهو مهم لأنه يشكل **"الجسر الذي يربط القارئ بالنص، لذلك لا بد من الاهتمام بصياغته وإخراجه في صورة جميلة جذابة تساهم في تسويق المعرفة وتشويق القارئ وجذب اهتمامه وتركيز وعيه بأهمية ما يلقاه"**[5].

و"ربيع الكورونا" عنوان يبعث على التساؤل إذ هل يعقل أن يكون لكورونا البغيضة القاتلة ربيعا يبعث على الحياة؟ لعل الظفر بإجابة شافية عن هذا التساؤل لن يظفر بها القارئ المتبصر إلا

[1] - حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة 2007، ص124.

[2] -عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، موقم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص30.

[3] -جميل الحمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الألكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ص8.

[4] -عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، منشورات النادي الثقافي، جدة، الطبعة الأولى 1985، ص263.

[5] -عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي، ص29.

إذا توغل في دهاليز متن النص الروائي. وعليه إذن فالعنوان إنما هو علامة واصفة تبعث بالقارئ إلى محتوى نص الرواية وبعضا من مقاصد كاتبها. باختصار إن العنوان يحمل في طياته بعضا من مكر الروائي ودهائه في نسج نصه لذلك كان وسيلته في رسم معالم المتخيل خصوصا وأن العنوان جاء مضمخا بالدلالة الرمزية التي لا يمكن فك شفرتها إلا بقراءة النص.

- **التجنيس**:

هو مسلك من مسالك الولوج إلى النص الروائي وهو نظام ملحق بالعنوان **"لهذا يعد نظاما رسميا يعبر عن مقصدية كل من الكاتب والناشر لما يريدان نسبته للنص في هذه الحالة لا يستطيع القارئ تجاهل أو إهمال هذه النسبة وإن لم يستطع تصديقها أو إقرارها فهي باقية كموجه قرائي لهذا العمل"**[1]. و"ربيع الكورونا" من حيث جنسها الأدبي رواية ولعل في التنصيص على جنس الكتابة تمييزا لها عن غيرها من الأجناس الكتابية السردية الأخرى، فهي ليست قصة وليست أقصوصة وإنما هي رواية وإن أشكل على الباحث تعريف مصطلح الرواية.

- **اسم المؤلف:**

يلوح اسم الكاتب في أعلى غلاف الرواية ليعلن عن انتساب هذا النص لصاحبه "أحمد الهادي رشراش"، فيثبت هوية العمل الروائي له، واللافت للانتباه أن اسم الكاتب تصدر أعلى صفحة الغلاف وخط بخط بارز وغليظ أقل درجة من عنوان الرواية، وخط بلون أحمر باعث على الإغراء لأنه يمارس على القارئ لعبة الإغواء فكأننا بالكاتب يخاطبنا بصريا لشراء مؤلفه، أضف إلى ذلك أن اسم الكاتب يمارس وظيفة إشهارية فيكون تصدره لواجهة الغلاف الخارجي مطية للشهرة في الساحة الأدبية.

- **دار النشر:**

ينصص الناشر في أسفل غلاف الرواية على دار النشر فإذا بالكتاب قد تم طبعه بدار ابن عربي للنشر. وقد كتب عنوان دار النشر بخط واضح ولكنه أقل غلظة من العنوان وجنس الأثر واسم الكاتب وخط باللون الأحمر الذي مارس به الناشر وظيفة إشهارية لدار نشره.

[1] -جيرار جينات، مدخل إلى جامع النص، ص97.

- **في الصورة:**

تبدو الصورة علامة بصرية تؤثر في القارئ المتقبل أيما تأثير لأنها أكثر التصاقا بالواقع وأكثر قدرة على التعبير عليه، وهي لغة بصرية إذ هي حاملة لأفكار لا يمكن الإفصاح عنها إلا بلغة اللون والخط، فهي حينئذ تشحذ الذهن على التفكير لأنها تحول التجربة الكتابية إلى تجربة بصرية. والمتمعن في صورة الغلاف يلحظ أنها جاءت معبرة عن عنوان الرواية إذ أثثت بصورة لكمامة لأنها بعض من متعلقات كورونا وأثثت أيضا بلوحة طبيعية زاهية كناية عن الربيع. وهو ربيع باسم دلت عليه الورود المزهرة وأبانت عنه الألوان التي لم تدخل في نسيج النص الروائي وحسب بل تخطته إلى مستوى الدلالة إذ هي حلت محل اللغة ومحل الكتابة فأسهمت في نقل الدلالات الخفية المتوارية في ثنايا النص. وهي ألوان تمتح من معين واقع الكاتب وثقافته لأن **"اللون لا ينفصل عن الثقافة، وإنما هو منها تشكله ضروبا وتؤلفه أجناسا، تستحسن بعضه فترتضيه، وتستقبح بعضه فلا تبتغيه، بل إنها قد تضرب صفحا عن بعضه فلا ترتئيه"[1].**

والألوان كانت منتقاة كأحسن ما يكون الانتقاء إذ تقصدها الرسام تقصدا حتى تشف عن معنى الرواية لأن اللون علامة لسانية تحتمل القراءة والتأويل وهي حيلة من حيل الرسام للسطو على القارئ إذ اللون مؤشر عن متن الرواية محفز للقارئ على تعقب دلالته ثنايا النص الروائي. وقد تباينت الألوان بين الأحمر والوردي والأصفر والأخضر. فكان الأحمر دالا على معنى الحياة[2]، وكان الأصفر رامزا إلى معنى الضياء والنور بعد القتامة بل إلى القدرة الإلهية إذ الأصفر في جوهره إلهي بامتياز فهو **"صفة تعلقت بالآلهة مثرا (Mithra) عند الفرس وأبولون(Apolon) عند الإغريق وزرادشت (Zoroastre) الكوكب الذهبي البراق وبراهما (Brahma) صاحب البيضة الذهبية اللامعة"[3].** وقد توسل الرسام هذا اللون ليستحيل على وجه البسيطة صفة لقدرة الإنسان الذي استطاع أن ينير الحياة ويضيئها رغم قتامة كورونا وبؤسها. وأما اللون الأخضر فكان هو الطاغي على الغلاف وقد أحال على معاني الغضاضة والطراوة والانتعاش وتجدد الحياة والخلود.

- **المناص التأليفي**

[1] -الصادق الميساوي، الألوان في اللغة والأدب، حوليات الجامعة التونسية، عدد36، 1يناير 1995، ص251.

[2] - جاء في معجم الأساطير لجان شوفاليه (Jean Chevalier) قوله:

« Rouge universellement considéré comme le symbole fondamental de vie ». Jean Chevalier &Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, p.659.

[3] - زهرة الثابت، العشق في النصوص المقدسة، دار مسكلياني للنشر، الطبعة الأولى 2019، ص167.

الإهداء:

هو تقليد ثقافي عريق قد لا يخلو منه أي جنس من الكتابة ولا يقل الإهداء أهمية عن سائر المناص الأخرى إذ هو مسلك يمكن أن يضيء للقارئ بعض مجاهل الرواية لأنه **"نوع من الخطابات المصاحبة للنصوص الحكائية المساعدة على تقريب طبيعة الجنس الأدبي للمتلقي وإعطائه تصورا عن الكاتب كذات أنتجت النص الروائي من جهة والكاتب كقارئ لعمله من جهة أخرى"[1]**. والإهداء أيضا **"عتبة نصية لا تخلو من قصدية سواء في اختيار المهدى إليه/ إليهم أو في اختيار عبارات الإهداء"[2]**.

والإهداء في ربيع الكورونا نصه **" إلى كل من يؤمن بأن الربيع لا يكون إلا مزهرا"**، فهو اهداء عام يرشح أملا ونفسا تفاؤليا وهو يمتح من معين الواقعي تقصد منه الكاتب قارئا بعينة يشاركه فعل التخييل وتوقع ما يمكن أن توحي به هذه الكلمتين المفتاحيتين الربيع/ مزهرا. وإذن فالإهداء إنما وظيفته تداولية لأنه ينشط حركة التواصل بين الكاتب والقارئ.

العرفان:

تضمن شكرا أطراف ساعدت الكاتب رشراش على تدوين روايته أو أسهمت في ظهورها إلى النور وذيوع صيتها. منها زوجة الكاتب التي صبرت على انشغال زوجها عنها وعن الأسرة للتفرغ إلى كتابة الرواية. ومنها الدكتور محمد البدوي الذي تكفل بمراجعة العمل الروائي وإسداء النصح للكاتب بل قد ساعده على نشرها بدار ابن العربي وتفضل بتقديم قراءة لها عساها تكون منفذا لدراستها. كما توجه رشراش بالشكر أيضا إلى ابنته رواسي التي أرست معالم الرواية بما أملته من ملاحظات وجيهة لكاتبها. ولم يغفل الروائي أيضا عن الثناء على ابنيه وعلى الشاعرة التونسية نجاة المازني لأنها كنت خير عون له فهي التي فتحت له نافذة الطباعة في تونس[3].

[1] - شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2005، ص51.

[2] - عبد الفتاح الحجيري، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996، ص26.

[3] - أحمد رشراش، ربيع الكورونا، دار ابن عربي للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2021، ص32.

العناوين الفرعية:

شكلت العناوين الداخلية عتبة مهمة لقراءة رواية "ربيع الكورونا" وهي أقل مقروئية من العنوان الأصلي لأنها تتحدد بمدى اطلاع القارئ على النص. وقد جاءت مصاحبة للعنوان الأصلي موضحة له وعليه فهي امتداد له، بل هي موضحة لمتن النص. فالمتدبر لهذه الرواية يلحظ أن هذه العناوين الفرعية جاءت على رأس كل فصل من فصول الرواية شارحة له وقد وضع الكاتب ثلاثة عناوين ميزت كل فصل من فصول روايته الثلاث:

العنوان الأول: **"بوح في غرفة الإنعاش"**، وقد أسفر هذا العنوان عن بعض مضامين الفصل الأول من الرواية إذ البوح كان بوح عشق بين البطل الرئيسي عمر وحبيبته ألفة هذه التي هام بها فأصابت سويداء قلبه وسحرت عقله وخلبت لبه[1]، وما كان له أن يبوح بسر هيامه بها إلا في ظرف استثنائي غير عادي وفي فضاء ما كان ليتوقع البتة دخوله، ذاك هو المشفى وتلك هي غرفة الإنعاش التي كانت شاهدة على عنفوان الحب وأوار الرغبة إذ أصيب عمر بكورونا بعد أن أصيبت عشيقته وكانت غرفة الإنعاش مكان البوح حين فقد عمر الوعي وصار يهذي باسم حبيبته فكان هذيانه أمارة على بداية تماثله للشفاء لأنه كان مؤمنا أن **"العشق هو السلاح الذي سيمكنه من منازلة فيروس كورونا ومجابهته وقوة هذا السلاح تكمن في رغبة الاستمرار في الحياة"**[2].

فكان الإنعاش إنعاشا لعمر المتيم بألفة، وألفة الراغبة فيه إذ استوى المشفى فضاء لتواصل المحبين رغم إصابتهما بكورونا فانتعشت روح كليهما من مرآى الآخر وكان الإنعاش ههنا رمزا افتعله الراوي ليشير إلى انتعاش روح المحبين بفعل اللقاء الروحي بين ذاتيهما المحبتين أكثر من انتعاشهما بسبب شفائهما من كورونا لأن العشق هو سدرة المنتهى وهو المطلب القصي للذات الراغبة عمر إذ هو الأمان والسلام. فكان وباء كورونا حقا الخطر الذي لابد منه حتى يحصل السلام ويكون العشق أمارته، لذلك يهرع الراوي إلى استحضار نص لوليام شكسبير جاء فيه **"من خلال أشواك الخطر *** نحصل على زهور السلام"**. وهو نص يكتنفه الرمز الذي يحتمل التأويل ويفتح شهية القراءة ويبعث على الحيرة والسؤال بل يدفع بالقارئ إلى افتراض أنه من خلال أشواك كورونا نحصل على الحب وعلى السلام" وقد تعمد الروائي رشراش استحضاره حتى يبعث على التشويق ويحفز القارئ على كنه خبايا هذا الفصل الأول من الرواية.

[1] -المصدر نفسه، ص 40.

[2] -المصدر نفسه، ص71.

العنوان الثاني: **"الربيع لا يكون إلا مزهرا"**، مثل هذا العنوان جوهر قناعة البطل عمر الذي آمن منذ الفصل الأول ومنذ مكوثه في غرفة الإنعاش بأن الربيع سيكون مزهرا كذا وطن نفسه وكذا همس لحبيبته ألفة في رسالة أودعها إياها مع الممرضة وقد جاء فيها قوله **" أبلغي ألفة أن الربيع سوف يزهر ولن يدوم ربيع الكورونا"**[1]، وربيع عمر وألفة أزهر لما التقيا بعد مغادرتهما المشفى في أكثر من مناسبة، فأزهر قلب عمر بمرأى وجه ألفة الصبوح وسماع صوتها الشجي وتشمم رائحة عطرها الشذي حتى **"دبت الحياة في أعماق قلبه كدبيب النمل في فصل الصيف"**[2] لأن **"أنوثتها** -(وفي نظر عمر الهائم بسحرها)- **كانت أيقونة شوق وبسمتها أنشودة حب ورقتها معزوفة عشق"**[3]. وأزهر قلب ألفة أيضا بمرأى حبيبها عمر بعد أن أزاحت عنها ليل نوفل خطيبها الجاثم على قلبها بكل ثقله إذ هي ما عادت تطيقه وتريد التخلص منه[4]، لذلك كانت تهتز طربا لشعر عمر وتسمح لنفسها بمرافقته في رحلاته توقا إلى خلاص روحي ومكاني، وأملا بمستقبل زاهر معه.

ومثلما أزهر قلب هذين العاشقين كذلك ينبغي أن يزهر العالم فتعود بين البشر قيم الإنسانية من محبة وتآزر وتعاون رغم واقع كورونا البائس ويعود الصفاء والحب والتفاهم بين الفرقاء الليبيين وتعود السكينة والهدوء بعد الفوضى وضنك الحياة ويأتي نور الفجر الواعد بعد ظلام كورونا الكاسر وكرب الحرب الغاشم أ وليس **"في قلب كل شتاء ربيع نابض *** ووراء كل ليل فجر باسم"**؟ على حد تعبير جبران. وعلى حد تعبير عمر. باختصار الربيع المزهر الباسم ذاك حلم الراوي على لسان بطله عمر الذي كان يتشوف إلى الحب والفرح الدائم وحب الحياة والبقاء لذلك كان اسمه دالا على بعض مطامحه بل إن "عمر" اسم تقصده الكاتب تقصدا كناية عن التعمير والاستمرار والانبعاث من جديد رغم بؤس كورونا المقيت ورغم واقع الحرب اللعين. ولا انبعاث إلا بألفة تجمع بين العالم وبين الفرقاء. دلت عنها تسمية ألفة عشيقة عمر.

العنوان الثالث: **"رسالة صوتية"**، وهو عنوان استعاره الكاتب من خطاب البطل عمر حين وعد حبيبته أن يرسل لها رسالة صوتية قائلا: **"لدي قصيدة جديدة نظمتها بعد جائحة كورونا سوف أسجلها الليلة وأرسلها لك في رسالة صوتية"**[5] وقد كان متنها قصيدة عشق باح بها البطل إلى حبيبته

[1] -المصدر نفسه، ص72.

[2] - المصدر نفسه، ص85.

[3] -المصدر نفسه، ص103.

[4] -المصدر نفسه، ص121.

[5] -المصدر نفسه، ص146.

هي **"قصيدة بوح القلم"** التي كشف فيها فرط هيامه وتعلقه بألفة. وهي رسالة أسهمت في تطور الحدث الدرامي في الرواية إذ كانت القادرح الذي أثار ألفة من الداخل فحرك رغبتها في عمر لذلك هتفت قائلة: **"لقد عانقت حروف قصيدتك شغاف قلبي، ولامست عميق مشاعري.. يبدو أن عشقك قد تجاوز حدود الوطن هذه المرة"**[1].

وقد يكون الوطن ليبيا وخارج حدوده تونس حيث تقيم ألفة، فحب عمر لا يعترف بالحدود، لذلك كانت هذه القصيدة أيضا القادح لعمر حتى يصارح ألفة بفرط عشقه لها ونهمه فيها لأنها ملكت كيانه وغلقت عليه الأبواب إذ هو قد أحبها منذ النظرة الأولى وأخذت بمجامع قلبه فانبرت تنحت بإزميل روعتها على جدران قلبه[2]. لذلك حلم نفسها بوصلها والزواج منها لأنها الحياة فهو القائل: **"أما أنت يا الفة فقد صرت الحياة ذاتها"**[3].

2- ربيع الكورونا: مرجعيات الخطاب

في مفهوم المرجعية:

المرجعية لغة مصدر صناعي على وزن مفعل بكسر العين ويطلق المرجع في اللغة بوصفه مصدراً دالاً على المعاني الآتية:

- الرجوع والإياب.
- المصير.

أما في مجالي اللغة والأدب فتعتبر المرجعية من المباحث المهمة التي شغلت الباحثين لأنها أداة مهمة لفك شفرة الخطاب. ففي اللسانيات نظر دي سوسير (De.Saussure) إلى اللغة على أنها نسق ونظام إشاري تواصلي قوامه علامة لغوية وكل علامة تتألف من دال (صورة سمعية) ومدلول (تصور) وتقوم العلاقة بينهما على الاعتباط، وحاصل جمعهما هو الدلالة. وتكتسي هذه العلامة قيمتها من مرجعها فلا يمكن أن نتصور علامة دالة دون مرجعية ما. أما رومان جاكبسون(R.Jakobson) فقد اعتبر المرجعية إحدى وظائف اللغة الست حين تحدث عن العملية التواصلية ووظائفها.

[1] -المصدر نفسه، ص161.

[2] -المصدر نفسه، ص163.

[3] -المصدر نفسه، ص177.

ونروم من خلال طرقنا لموضوع المرجعيات في رواية "ربيع الكورونا" الوقوف عند النصوص الرافدة لخطاب رشراش إذ يبدو أن الكاتب قد انفتح في هذا النص الروائي على مرجعيات في الخطاب عديدة تراوحت بين الواقع والشعر والتراث والفلسفة والأدب.

المرجعيات:

• **المرجعية الواقعية**: تبدو هذه المرجعية الأهم في الرواية، ذلك أن الراوي يمتح مادته من الواقع فيستقي منه الأحداث والأماكن والشخصيات. فالحدث الرئيسي في الرواية هو جائحة كورونا التي هزت العالم وهي حدث واقعي حقيقي اندلعت شرارته الأولى في مكان واقعي هو الصين وفي يوهان تحديدا يقول الراوي مبررا سبب عودته إلى بلده **"فقد حل بمدينة يوهان الصينية وباء مميت سريعا ما تحول إلى جائحة عالمية قاتلة عرفت بفيروس كورونا (Covid-19) لم تشهد لها الإنسانية مثيلا"**[1]. وقد بثت هذه الكارثة الوبائية الرعب في صفوف الناس وشلت الحركة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية 12، إذ **"أغلقت الحدود بين الدول وعلقت الرحلات الجوية وفرض حظر التجول وعطلت الدراسة في المدارس والجامعات، وألغيت المواعيد العلمية وأرجئت المؤتمرات وتوقفت الأنشطة الثقافية وعطلت الملتقيات وتعطلت الأنشطة الرياضية وأجلت المباريات وأرجئت الصلاة في المساجد وتوقف الدخول إلى الكنائس وبدأت أغلب دول العالم تجلي رعاياها من بلد الوباء خوفا من انتقال العدوى إلى شعوبها"**[2].

ويبدو أن عين السارد الرائية كانت حريصة على تسجيل كل شاردة وواردة تسجيلا دقيقا عميقا بغية التوثيق، فنهج الروائي في رواية الأحداث يقرب من نهج المؤرخ، حتى أنه يمكن اعتبار رواية "ربيع الكورونا" تجوزا رواية تاريخية وربما يكون الكاتب مطلعا على الكتابة التاريخية مستفيدا من آلياتها وأدواتها الفنية. ولكن هذا الحدث الواقعي الرئيسي الذي استوحى منه الراوي مادته الروائية لم يجب عنه الوقوف عند بعض الأحداث الواقعية الجانبية كالحرب الأهلية التي مزقت وحدة الشعب الليبي وشرد ت عائلاته وهجرت أبناءه. فأسرة عمر استوطنت تونس منذ أن اندلعت الحرب بليبيا طلبا للأمن والأمان يقول عمر متحدثا عن والده في هذا الصدد: **"حثني أنا على ضرورة سرعة المغادرة والعودة إلى تونس للالتحاق بعائلتي المستوطنة هناك منذ تسع سنوات حيث هاجرنا من**

[1] - المصدر نفسه، ص36.

[2] - المصدر نفسه، ص37.

ليبيا بسبب الحروب الدامية التي دارت هناك منذ عام (2011م) وكذلك لسوء الأوضاع المعيشية وتردي الأوضاع الأمنية شأننا شأن الآلاف من العائلات الليبية المهاجرة والمهجرة خارج الوطن"[1].

ويضاف إلى هول الحرب الإعلام الفاسد الذي أذكي فتيل الحرب لأنه باع الوطن والذمم وحرض على الفتنة وأثار نقع الشقاق[2]، فاشتد الصراع حتى صارت ليبيا وطنا بلا دولة، إذ شاع الانفلات الأمني والقتل والخطف والحرابة[3]. وعم الكساد الأسواق وارتفعت الأسعار بسبب الأزمة الاقتصادية التي خلفها واقع الحرب الغاشمة[4]. بل إن الإرهاب قد ضرب بأطنابه في البلاد[5]، لأنه داء نخر الجسم العربي برمته فتونس نفسها لم تنج من قبضته **"فالعمليات الإرهابية التي تستهدف أعوان الأمن مستمرة بين الفينة والأخرى"[6]**، وليس أدل على ذلك من الشاذلي خال ألفة الذي لقي حتفه جراء تفجير إرهابي جبان استهدف دورية أمنية[7]، لقد نما الإرهاب وفتك بالمنطقة العربية برمتها لأنه **"لا هوية له ولا وطن ولا دين له"[8].**

ولكن حديث الراوي عن الصين لم يمنعه من استحضار أماكن أخرى واقعية كتونس وما فيها من أماكن جميلة كشارع الحبيب بورقيبة وسيدي بوسعيد[9] وضفاف البحيرة ومدينة قرطاج لاند وسوسة، ولكن الوقوف عند هذه الأماكن لم يكن لمنع الراوي من النفاد إلى بعض الأنهج المعروفة بتونس كنهج مصطفى كمال أتاتورك ونهج إيران ونهج القرش الأكبر [10]ولم يمنعه أيضا من استحضار ليبيا وبعض الأماكن المميزة لها كسوق جامع الصقع وسوق أبي سليم ومحلات شارع الرشيد، وباب البحر، وقوس ماركوس أوريليوس، وميدان الشهداء والسراي الحمراء[11]، وشارع عمر المختار

[1] - المصدر نفسه، ص38.

[2] - المصدر نفسه، ص52.

[3] - المصدر نفسه، ص54.

[4] - المصدر نفسه، ص54.

[5] - المصدر نفسه، ص 55.

[6] - المصدر نفسه، ص56.

[7] - المصدر نفسه، ص88.

[8] - المصدر نفسه، ص88.

[9] - انظر المصدر، ص109-110.

[10] - انظر المصدر نفسه، ص148.

[11] - انظر المصدر نفسه، ص127.

وشارع ميزران وشارع هاييتي وشارع البلدية وميدان الغزالة والنادي الأهلي بطرابلس[1]. والنزعة الواقعية أيضا نلمسها في المراوحة بين اللهجة الليبية واللهجة التونسية التي قد يقطع بها الراوي أحيانا وتيرة السرد الفصيح مثلما نسجل ذلك في الحوار الذي دار بين عمر وألفة وصديقتها سنية بإحدى مقاهي مطار بكين حين خاطبها قائلا: **"شنوا أحوالكم؟ تشربوا حاجة؟"**[2]، لترد سنية عليه:**"إنت تونسي؟"**[3]، أو في الحوار الذي جد بين عمر والنادلة جميلة بإحدى مقاهي سيدي بوسعيد حين طلب منها باللهجة الليبية أن يحتسي قهوة فخاطبته بنفس اللهجة فقد سأل النادلة قائلا: **"نبّي قهوة سادة"** ف**"ابتسمت وردت: يعني تبيها مرة من غير سكر"**[4].

المرجعية التاريخية الوثائقية:

يلحظ المتأمل في رواية ربيع الكورونا أن صاحبها قد عوّل على التاريخ والتراث أحيانا لتجميع مادته الروائية إذ **"ما أروع أن يتمسك الإنسان بماضيه وتراثه الضخم"**[5] ثم إن **"الماضي والتراث هما هوية الإنسان ولا قيمة للإنسان بغير هوية"**[6]. "وربيع الكورونا" إنما شفت عن اعتزاز بالهوية وتشبث بالتراث والتاريخ قل نظيره نلمسه في انتقاء الرواي لأسماء كائناته الروائية والذي لم يكن بريئا إذ التاريخ الليبي حاضر حضورا متوهجا في أسماء الشخوص فتسمية عمر كانت نسبة إلى عمر المختار شيخ المجاهدين الليبيين وسليمان نسبة إلى سليمان الباروني ورمضان نسبة إلى رمضان السويحلي وعبد النبي نسبة إلى عبد النبي بالخير وكلهم مجاهدون استماتوا في سبيل تأسيس جمهورية طرابلس[7].

وهوس الراوي بالتاريخ أيضا نلفيه في توقف الراوي في أحايين كثيرة عند الرابطة القوية التي جمعت الليبيين بالتونسيين منذ أقدم العصور فتونس منذ القديم كانت قبلة الليبيين وملاذهم الأمين اتقاء شر المجاعة والأوبئة التي فتكت بليبيا سنة 1947م[8]. هذا إضافة إلى أواصر المصاهرة والنسب بين

---

[1] - المصدر نفسه، ص128.

[2] - المصدر نفسه، ص42.

[3] - المصدر نفسه، ص42.

[4] -المصدر نفسه، ص110.

[5] -المصدر نفسه، ص60.

[6] - المصدر نفسه، ص60.

[7] -هذا رأينا الذي خلصنا إليه بعد أن توجهنا بالسؤال للروائي رشراش عن رمزية هذا الكائنات الروائية فأكد زعمنا في هذا الغرض.

[8] -المصدر نفسه، ص58.

البلدين لذلك توحد حب ليبيا وتونس بقلب الراوي[1]. وقد يستحضر الكاتب التاريخ الضارب في القدم فيستدعي اسم القائد الليبي "شيشنق" ليؤثث به حدثا في الرواية هو حدث عزم عمر على تأسيس شركة تحمل اسم هذا القائد **الليبي "العظيم الذي حكم مصر منذ آلاف السنين قبل ميلاد المسيح"** [2]. وأحيانا يهرع الكاتب إلى التاريخ مستلهما منه الحكمة فنجده حين وقف في المحكمة وتنازل عن حقه لنوفل يتذكر وقوفه أمام قوس (ماركوس أوريليوس) بباب بحر بالمدينة العتيقة بطرابلس وقولته الشهيرة: **"أفضل انتقام هو ألا تكون مثل من جار عليك"**[3]، ممنّيا نفسه أن تكون شرعة ومنهاجا لأبناء شعبه الذين مزقتهم الفتن وشتت شملهم العصبية القبليّة والكره والعداء.

وقد يحرص الراوي على استلهام معانيه من التراث فنلفيه يستحضر أحيانا الأغاني الشعبية[4]، وأحيانا أخرى يتوقف عند عادات الأكل فيلمع إلى أكلة البازين الشعبية[5] في ليبيا والقهوة العربية وبعض الحلويات الليبية كالكعك الحلو والكعك المالح والمقروض[6] وبعض الأكلات التونسية ك"الكسكي بولد البحر"[7] و"الكمونية" و"المعكرونة بلحم الخروف" و"كوشة العلوش"[8]. مما يدل على أن الكاتب خبير بعادات البلدين وبثقافة الأكل فيهما.

المرجعية الأدبية:

يحضر الأدب في رواية "ربيع الكورونا" شعرا ونثرا، ويستحيل مصدرا منه يستلهم الكاتب لغة قصه فنلفيه مستحضرا للشعر وللشعر الغزلي تحديدا إن تلميحا حين يذكر قصص عشق عنترة وعبلة وقيس وليلى وجميل وبثينة[9] وإن تصريحا حين يمتح مادته في قصة عشق عمر وألفة من شعر البحتري على لسان ألفة المؤمنة بالربيع الباسم الضاحك لذلك رددت أبيات البحتري في وصف الربيع والتي مطلعها: **"أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا *** من الحسن حتى كاد أن يتكلما"**[10]. أضف إلى

[1] -انظر المصدر نفسه، ص44.
[2] -المصدر نفسه، ص59.
[3] -المصدر نفسه، ص158.
[4] -المصدر نفسه، ص166.و170.
[5] -المصدر نفس، ص171.
[6] -المصدر نفسه، ص170.
[7] -المصدر نفسه، ص122.
[8] -المصدر نفسه، ص176
[9] -المصدر نفسه، ص96.
[10] -المصدر نفسه، ص104.

ذلك أن الكاتب أحيانا يستحيل هو نفسه ناظما للقريض في مواطن عديدة من الرواية[1]، ليقيم الدليل على أنه يحذق الشعر كما يحذق الرواية وأن الكتابة الروائية قد تحتاج إلى الشعر رافدا من روافد القول فيها.

وقد يستند الكاتب في خطابه أيضا إلى النثر فنلفيه يمتح من معين خطاب شكسبير وجبران خليل جبران وإبراهيم الكوني خصوصا في مقدمات فواتح فصول الرواية كما يستدعي أحيانا التبريزي[2] وتارة أفلاطون[3] وطورا ألفة يوسف[4]. ليستوي نص "ربيع الكورونا" خطابا تتعدد فيه الأصوات ونصا جمعا تنفتح فيه الرواية على أجناس في الخطاب متعددة منها الشعر والمسرح والتصوف والفلسفة والفكر.

الخاتمة:

لقد أسلمنا البحث في عتبات النص الروائي ومرجعياته في رواية "ربيع الكورونا" للروائي الليبي أحمد رشراش إلى أن هذا الخطاب الروائي خطاب إشكالي بامتياز وخطاب يفتح شهية القراءة لأنه كتاب مفتوح يحتمل التأويل، إذ يقف المتدبر في هذا النص على مفاتيح استغلقت عن الأفهام تلك هي عتباته التي توزعت بين المناص النشري والمناص التأليفي، والتي محضت الرواية لأن تكون نصا إيحائيا رامزا يشد القارئ إليه شدا عنيفا ويغريه بالولوج في عالمه التخييلي وفي قراءة مرجعياته التي تراوحت بين المرجعية الواقعية والمرجعية التاريخية الوثائقية والمرجعية الأدبية ممّا جعل "ربيع الكورونا" نصا متعددا تتقاطع فيها أصوات الروائي والشاعر والأديب والمسرحي والفيسلوف. إنه باختصار نص أشبه بالنمنمات الفسيفسائية التي متحت مادها من أجناس في الخطاب متنوعة أقامت الدليل على سعة اطلاع صاحبها وأمانته في توثيقها وعلى قدرته على الإبداع وعلى إحكام جنس الرواية عن الكورونا إذ "ربيع الكورونا" كانت حقيقة استناء في زمن الكورونا وعملا رائدا في الكتابة عن هذه الجائحة الكونية.

[1] -المصدر نفسه، انظر الصفحات 105-106-127-128-140- 141 -142-143-144-145-159- 160-161-

[2] -المصدر نفسه، ص92.

[3] -المصدر نفسه، ص107.

[4] -المصدر نفسه، ص146.

قائمة المصادر والمراجع:

- الثابت (زهرة)، العشق في النصوص المقدسة، دار مسكلياني للنشر ودار الرافدين، الطبعة الأولى 2019.

- الحجري (عبد الفتاح)، عتبات البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1996.

- بدري (عثمان)، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، موقم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

- بنيس (محمد)، الشعر العربي الحديث، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة 2001.

- جينات (جيرار)، مدخل إلى جامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال، المغرب، الطبعة الثانية 1986.

- رشراش (أحمد الهادي)، ربيع الكورونا، منشورات ابن عربي، تونس، الطبعة الأولى 2021.

- حليفي (شعيب)، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2005.

- حماد (حسن محمد)، تداخل النصوص في الرواية العربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

- الحمداوي (جميل)، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الألكتروني، تطوان، المملكة المغربية، د.ت.

- الحميداني (حميد)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة 2007.

- الغذامي (عبد الله)، الخطيئة والتكفير، منشورات النادي الثقافي، جدة، الطبعة الأولى 1985.

- الميساوي (الصادق)، الألوان في اللغة والأدب، حوليات الجامعة التونسية، عدد36، 1يناير 1995.

-Gérard Genette, Seuils, éd. seuil, coll. poétique, Paris ,1987.

-Jean Chevalier & Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, éd. Robert Laffont.